فى بيان المقامات
والأبنية الموقرة التي داخل الحرم الشريف
وعلى الجوانب الأربعة للبيت العتيق

أولاً ، يطلق المسلمون علي وادي الحرم الذي يطوف فيه الحجاج المسلمون حول البيت المشرف "الوادى الابيض" فهو عبارة عن ساحة مفروشة بالرخام الابيض المجلي . وهى ضمن الحرم الشريف الكبير ، وهو يحيط بالبيت العتيق من الجوانب الاربعة ، ويحتوى الكعبة ، والحطيم الشريف ، يحيط بالمكان ثلاثة وأربعون عموداً من النحاس الأصفر إلا إثنين فقط فهما من الرخام المصنَّع البديع . وهذه الآعمدة النحاسية هى من مآثر السلطان سليمان خان القانوني ، كل عمود بطول ثلاثة رجال ، وهي من النحاس المصقول . وقد سمعت من قوزى على آغا صاحب الركاب بأن السلطان سليمان خان قد كلَّف الطواشي سليمان باشا بتصنيع الإحدى والأربعين عموداً هذه من نحاس مصر ، وكانت مدافعاً معدَّة لحرب اليمن ، ولكن سليمان خان انشغل بحروب أنغروس ، ولم يتوجه إلي اليمن ، وتمكن سليمان باشا من فتح اليمن والكثير من مدن الهند مثل دِو آباد ، وأحمد آباد ، وعدد من النبادر والمراكز بمئتي قطعة من السفن التى أبحرت من بحر السويس . وقد ظل يُقاتل ويناضل لمدة ستة أشهر كاملة، حتي تمكن من استخلاص هذه المناطق من أيدى البرتغاليين الكفرة ، وضمها إلى ممتلكات آل عثمان وتمكن من أسر تسع آلاف من البرتغاليين ، واستولي علي إحدى وأربعين سفينة منهم ، وترك فى قلاع المدن ، والبنادر المفتوحة العديد من الأبطال الصناديد من جند آل عثمان ؛ وأرسل سليمان باشا بالرسل والمبشرين إلى السلطان سليمان خان يبشره بهذه الفتوحات .. وبعد العرض علي حضرة الشهريار ، أرسل إليه خطاً شريفاً مفاده (ياسليمان باشا أنت قَربيَ ، فاقم فى القلاع المتينة التى فتحتها جامعاً .. واقطع = اضرب السكة فى كل القلاع التى فتحتها باسم سليمان ، ولتقرأ في بلاد الهند الخطبة باسمى ، وارسل من السكة المضروبة لخزينتي ، وخزينة الدولة .. وسلِّم زمام القلاع التى فتحتها في الهند لآخى الخاقان .. وليحضر بكل الحب ، والإحترام إلي آعتاب دولتنا ..) وما أن وصلت هذه الآخبار إلى سليمان باشا حتى قال (الأمر والطاعة ، فالأمر امركم) وأمر على الفور بسك العملة ، وقراءة الخطبة باسم

آل عثمان ؛ ووهب القلاع التى فتحها فى الهند إلى سلطانها .. وعاد من الهند منصوراً ، ومظفراً ، ومحملاً بأموال فرعون "قارون" . وقام ايضاً بفتح سبع مرافئ في اليمن .. وربطها ببندر جده بالإسطول الهمايوني . ثم عاد إلى جده مظفراً ، ومعه السفن التى غنمها من الكفار ، مع آموال فرعون = "قارون" التى لا حصر ولا عد لها.. ثم توجه منها إلى مكة المكرمة ، وقام باداء فريضة الحج ، وقام بنصب المدافع النحاسية التى استخدمها في هذه الحرب لتكون زينة فى المسجد الحرام .. فرفعها فى جوانبه الأربعة . أو أنه نصبهم من أجل المصلحة .. وهم ليسوا بأعمدة – هذا ما تفضل به وذكره المرحوم قوزى على آغا . والحمد لله أن تيسرلى رؤيتها بعد أربعين سنة . وحقيقة الحال ، فجميعها مدافع نحاسية شاهية . لا تعلوها أي أبنية .. قواعدها مثبتة على منصات من الرخام ، وفوهاتها إلى آعلا.. ولكن لما كانت الفوهات مسدودة فلا يستطيع الفرد مهما بلغ من الإدراك أن يدرك أنها مدافع .. وهذه الآعمدة المنصوبة متصلة ببعضها البعض بأذرع حديدية فى سماكة ذراع الرجل.. وبتناسق فإن ما بين كل عمود وآخر خمس خطوات متساوية وعلى كل عمود قد نُقش عَلَم مُذَهب .. وقد زينت الآعمدة بالقناديل .. وكل الحجاج المسلمون يطوفون من داخل هذه الآعمدة النحاسية . وهم حدود الطواف . ولا يكون الطواف من خارجها ؛ لإن هذه الآعمدة قد أقيمت علي آخر حدود قد سارت فيها قدمي الحبيب المصطفي أثناء الطواف .. وما بين هذه الآعمدة ، والكعبة المشرفة مفروشة بالرخام الأبيض .. وما عدا ذلك ، فليست الأرضية مفروشة أو مكسوة بالرخام . بل هى مكسوة او مصبوبة بقطع من الصخر الأسود . والرصيف ليس مكسواً كذلك ، بل مفروش بالحصى ... ولا يتمكن الإنسان من السير عليه بهدوء وسكينة . وهذه الآحجار الصغيرة ، والحصى هى كما هى ، وظلت على ما هى عليه منذ أن بنى الخليل ابراهيم البيت الحرام ... وقد تركها القائمون على المسجد تبركاً ، ويكتفون بتطهيرها .. ولحكمة إلاهية ، فلهذا أيضاً فائدة فلو فرشت أرضية الحرم فى أماكن الطواف كلها بالرخام الأبيض ، فإن الآماكن المفروشه لا يمكن السير عليها ، والطواف منها لشدة الحرارة فالآحجار تخفض الحرارة ، ويمكن الطواف فى هدوء وسكينة فى فترات القيظ . ولكن البيت الكبير ؛ أولاً من الكعبة المشرفة وحتى باب الصفا ، وبعرض ثلاثة أذرع مكسوة بالرخام الخام الطبيعي ، ومثل هذا حتى باب

البسيطية ، وآخر حتى باب الزيادية ، وثالث حتى باب السلام ، وما عدا ذلك فمفروش أى مصبوب بقطع حجرية . ومن بين الأبنية المقامة داخل الحرم الكبير المقام الحنفى .. وما بين البيت العتيق والمقام الحنفى خمسين خطوة ، وهو محفل عالٍ كالقصر ، يُصعد إليه بسلالم حجرية ، مقامة على آعمدة موزونة . وعلى جوانبه الأربعة حواف ، وكأنها شبكة مصنوعة من الرخام الأبيض الخام ، وعلى جوانبه الأربعة أيضاً طاقات = وتيجان مقامة على أعمدة بيضاء . وعليها نقوش بديعة خطت بأنامل بهزاد ماني . والسقف عبارة عن قباب مغطاة بطبقة فضية . ويمكن أن يؤدى الآذان منها عشرون مؤذناً حنفياً .. هى كالقصر العالي عظيم التهوية . وقد قام العبد الحقير بختم القرآن فى هذه المقصورة .. وتلوت دعاءاً طويلاً من البحر الطويل وقد آصغى آلاف الحجاج لهذا الدعاء فى احترام وسكينة ... وكانت تهتز الأرجاء عندما تتردد من أفواههم "آمين" وآهدينا آلاف ومئات الآلاف من الأدعية لولي النعم، وذوى القربي من الوالدين والآقارب ، والأساتذة الأفاضل .. وإلى روح المغفور له ملك أحمد باشا ، وإلى روح الدفتردار زاده محمد باشا ، وسيدي أحمد باشا وجا نبولا طزاده مصطفى باشا ، وإلى روح القبطان = قبودان حسن باشا والمولوي محمد باشا ، ودرويش محمد باشا ، وسياوش باشا ، وفضلى باشا ، والسردار على باشا .. والحاصل توجهت بالدعاء إلى كل الوزراء والمعارف ، والذين تشرفت بمعرفتهم عند الغزو ، وفى الغزوات التى حضرتها .. وتذكرت أرواح كل الشهداء .. فدعوت لهم، ووهبت حصة من ثواب ختم القرآن الذى أتممته إلى أرواح سادتنا والذين عملوا لرفعة ديننا .. وكان الحجاج جميعاً يؤمنون ، مرددين آمين ... آمين .. وناحية الزاوية التى يطل عليها المنبر الشريف لهذا المحفل الحنفى ، نقرأ هذا التأريخ :

داورى جم عظمت خان محمد يعنى
عدل داديله اديانديردى ملوك سيفى
ديدى تاريخك آنك أهل مدينه كورجك
قاتى آعلا كَوزك اولدى بو مقام حنفي

"سنة ١٠٦٣" (*)

(*) الترجمة : «السلطان محمد خان هو ملك ملوك العظمة

وعلي يمين هذا المقام الحنفي ، يقع مقام الإمام مالك ، وهو في مواجهة الركن اليماني . . . وهو قصر تحتانى ، وليس بمرتفع . له ثقف منقوش ، مقام على عمدان . يُقيم به مؤذنوا المذهب المالكي . يقيم أئمتهم الصلوات فيما بين الركن اليماني والركن الشامي . والناس يقتدون بهم ، وعلي يمينه ، وفي مقابلة = مواجهة الحجر الأسود مقام إمام المسجد الحرام وهو بدوره مقصورة خفيضة الإرتفاع ، ويقيم فيها سائر المؤذنين ويقيم الأئمة إمامتهم عند الحجر الأسود . . وجماعاتهم من بني البشر ذوى السحنة السوداء . وهذا المقام أيضاً له سقف مقام على اعمدة والسقف منقوش، والقبة مغطاة بالرصاص . . وداخل هذا المحفل يسكن الآغوات الطواشية خدَّام البيت الشريف ، وهم يتجاوزون المائتين ، وهم من الآغوات الطواشية السمر السحنة ؛ ومعظمهم ؛ الواحد منهم خدم مابين ثلاثين أو أربعين سنة فى الآعتاب العثمانية ، وحصلوا على الصيت والسمعة الطيبة . . وكان يُطلق سراحهم ، ويسعدون بالخدمة في بيت الله الحرام . وعلىٰ الجانب الأيمن من مقام الإمام هذا ، وعلى مسافة ثلاث خطوات ، نلحظ القصير العالي لبئر زمزم . وفوقه بناء عالٍ هو مقام الامام الشافعي . وهو يقع فوق ماء زمزم تماماً ، وأكثر علواً من سائر الأبنية ، وهو محفل الرسول ﷺ كان عليه الصلاه والسلام يتعبد دائماً فى هذا المكان ، وهو متوجه نحو مقام ابراهيم الخليل . ويُصعد إليه بسلالم ، هو قصر لطيف . ومكان عبادة محبب إلى النفس . . مقام فوق أعمدة متناسقة ، ومنقوش بزخارف ومذهَّبات بديعة الصنع ، والألوان . وجميع مؤذنو الشافعيه يؤذنون ويقيمون صلواتهم فيه . وكان الإمام الشافعى يُقيم إمامته فى مكان المعجنة السابق ذكره . . وكان فى البداية أولاد بلال الحبشى قد شرعوا فى الآذان من هذا المقام . . كما كان اتباع المذهب الشافعى يقيمون الصلاة فيه ، وأعقبه في ذلك الامام الحنفي ، ثم الإمام المالكي ثم من بعدهم الإمام احمد بن حنبل كان يُقيم الصلوات هنا فى هذا المقام . ولما كان هذا المقام الشافعي مُقام فوق مياه زمزم ،

= ايقظ بعدله سيف الملوك

قال لأهل المدينة فليرى التاريخ

فاعلى أدواره ، واضحى جميلاً هذا المقام الحنفي

سنة ١٠٦٣ هـ

ففيه ثقب ، أو فتحة ، يتدلي منها دائماً دلو .. ومَنْ تاقت نفسه للشرب من ماء زمزم فما عليه إلا أن يُدلى بالدلو إلى بئر زمزم ، ثم يسحب الدلو مملوءاً ويشرب .. وجماعة الصلاة فى هذا المقام مكتظة ، وهذا لحكمة من حكم المولىٰ...

* * *

أوصاف عين الجنة ،بئر مياه زمزم:

تقع عين الجنة هذه داخل بناء مربع الشكل تحت المقام الشافعي المذكور ... على الجوانب الأربعة ، أربع نوافذ ، اثنان يطلان على بيت الله الحرام ، والآخران يُطلان علي المنبر الشريف . للبناء باب ، يقع داخل الحرم الكبير ، مفتوح ناحية الشرق ، له ضلفتان... ولكنه باب صغير . وفوق كنار هذا الباب ، مكتوب بالخط الجلي الجميل، وبماء الذهب هذا التاريخ :

(سلطان البرين وخاقان البحرين قلت تاريخه بلفظ قد بنى الزمزم محمد خان سنة ١٠٨٣) .

بينما أن السلطان محمد الرابع ، كان قد جدد باب السعادة هذا ، وأمر بتسطير هذا التاريخ . وبئر زمزم يقع في وسط هذا البناء العالي . وعلى فوهه البئر ، فم من الرخام الأبيض فى قد الرجل ، ويحيط به أو محيط البئر يحيط به إثنا عشر رجلاً ..

وحول فوهه البئر سوار من الحديد دائراً ما دار ، ولأن الناس تسحب منه يومياً مئات الآلاف من دلاء الماء نهاراً وليلاً منذ أن كان . ولو لم يكن من الحديد هكذا لتفتت فوهة البئر . ومنذ أن عُرِف وقد وضعوا على فوهة البئر هذا الحديد ... ويقف أربعة رجال شداد فوق الفوهه ، وعن طريق البكرات الموجودة فى جهاتها الأربع يسحبون الدلاء.. وهكذا ليلاً ، ونهاراً يدب العمل والحركة لإخراج ماء زمزم لسقاية حجاج بيت الله الحرام . والحجاج أيضاً يشربون من ماء زمزم حتى يذهب الظما.. ويتلون هذا الدعاء وهم يشربونه :

(اللهم أرزقنى علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل شيء .. ومن خشيتك..) ويشربون بنية صفاء القلب والشفاء من كل داء ، ودفع العطش ، وبعدها يصبون الماء

من أعلي رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم .. وفوراً تجف ملابسهم من شدة الحر ، وطوال الليل والنهار ، وفى الصبح والمساء ، ولعدة مرات تملئ مِئات الآلاف من القرب، والجرار، والزمزميات ، ومختلف الآواني المتعددة الأشكال ، والأحجام . ويقف أربعون نفراً من الاشداء وقد خضبوا أيديهم ، وأرجلهم بالحناء ، ويتبادلون سحب المياه ، فى كل نوبة أربعة منهم ؛ فلا يمكن أن يتحمل أربعة أنفار فقط سحب المياه طوال الوقت ، ولذلك فهم يتناوبون على العمل ليلاً ، ونهاراً . ولحكمة إلاهيه.. فآلاف الآلاف من الدلاء تُسحب صبحاً ، ومساءاً ولا ينقص الماء قط بقدر قطرة واحدة . إنه حقا ماء ذلال ، باعث للحيوية والنشاط . فيه شفاء لكثير من الآلام.. ولا تساويه مياه الدنيا فى لذته . ومَنْ يحتسيه فكأن رأسه . ودماغه قد شُحِن بالمسك والعنبر .. ولو شرب منه المرء عشرات المرات ، أو عشرات الأوقيات فلا يُصيبه أي ضرر علي الإطلاق ... وأذا كانت مياه الدنيا كلها تخلو من الرائحة ، ففى الصباح الباكر تشم منه رائحة الورد ، وما أن نصل إلى وقت الظهر ، ومنه إلى وقت العصر ؛ حتى تسوده رائحة البنفسج .. وحتى وقت الغروب تتنسم منه رائحة الياسمين وحتى وقت العشاء تتصاعد منه رائحة الهندباء . وحتى أنا العبد الحقير تسللت دون علم الرقباء ، فى وقت الشفع .. فرأيت الماء ينساب كالذبد .. فشربت منه ، فكان فى لذه اللبن الحليب.. وفاحت رائحته الزكية فعطرت دماغى . وهم يملئون القماقم ، والضرب ، ويحضرونها هدية ، وتبركاً إلى كل بلدان العالم الإسلامي . وفى العديد من المرات يحضرونها إلى الآلاف من الولايات . وهذا الماء الطاهر مفيد جداً لِمنْ هم من ذوى الطبيعة البلغمية ، ومعتدل للإنسان الصفراوي ، ولو شرب بمقدار محدد لبعض الطبائع ، فتُشاهد فوائده ، ونفعه . ولكن ، كأي فإن الإفراط فى الاستعمال يخلو من الفائدة . ولكن ماء زمزم يشفى بأمر الله من الداء الذى شرب بنية الشفاء منه . وخلاصة الكلام ماء زمزم لما شرب له . أي أنه شفاء لكل داء . حتى أن بعض بلغاء الشعراء زار الكعبة ، وهو محطم الخاطر ، فشرب من ماء زمزم ، فوجد فيها الشفاء . فترنم بهذه المقطوعة :

(يقولون ليلى بالعراق مريضة

فياليتنى كنت الطبيب المداويا

عليَّ إذا لاقيت ليلى بخلوة

زيارة بيت الله برجلاى حافيا)

حقاً ؛ لو شرب منها الإنسان باعتقاد ، وعقيدة صادقة ، فلابد من أن يجد فيه الشفاء ؛ لإن مياه زمزم هى معجزة سيدنا اسماعيل . وقد كُتب فى ذلك الكثير والكثير من الأقوال ، ولكن القول الفصل هو :

فى وصف طلوع ماء زمزم:

إن سيدنا ابراهيم ، بينما كان إبنه اسماعيل ما زال فى المهد ، انشغل ببعض الأمور، وترك أمنا السيدة هاجر مع ولدها اسماعيل ، وسافر بتكليف إلهى إلى مكان آخر ، إستبد العطش بسيدنا إسماعيل ، فأخذ يضرب الأرض بقدماه .. بينما أُمه تهرول بين الصفا والمروة بحثاً عن قطرة ماء . وما أن عادت حتى رأت البلل يبدو تحت قدمي وليدها .. ثم ظهرت عينا ماء تحت قدميه .. ولما رأى « بنى جرهم » وهم من العبرانيين هاتين العينين ، قالوا لهما بالعبرية « Jem Jem » وعُرِّبت إلى زمزم ولكن القول الأرجح هو أن حضرة اسماعيل ، وهو ما زال فى المهد صبيا ، كان مستريحاً فوق الأرض ، فاستغرق فى النوم .. وبينما الآحلام تداعب خلده ، آخذ يلعب برجليه الكريمتين .. وكلما أُصطدمت قدماه بالأرض وهو يداعبها .. ظهرت عينا ماء بأمر الله.. وسالت المياه حوله ، وكادت أن تُغرقه ، فبدأ اسماعيل فى الصراخ ، والبكاء ، وكانت السيدة هاجر فى هذه الآثناء تهرول بين جبلي الصفا والمروة بحثاً عن الماء فلما سمعت الصوت ، هرولت نحو وليدها .. وما أن وصلت .. فماذا رأت ؛ اسماعيل يكاد يغرق فى الماء .. فهرعت لنجدة فلذة كبدها .. وأخذته فى آحضانها .. وحمدت الله آلاف المرات على ظهور الماء .. فشربت أُمنا هاجر .. وقالت باللسان العبري بدلاً من كلمتى الحمد لله « زمزم » . وها هو دعاء أُمنا هاجر ، زوجة ابراهيم ، يعنى أُم حضرة اسماعيل ؛ وهو باللغة العبرانية :

(حابان حوژايژ ژمژم ژولو بنها ژوم بدژ ژوژ اژلم ژق ژطژا ژيداژ دوسان فلو اژا حوژ ريواژى) .

وأكملت دعائها قائلة :

(ژباش نداژ طوژ مژا ژلم ژلم ژيدايژ قلم ژبا براژ فر فلار ژيبا) .

وخلاصة معنى الدعاء العبري.. « ياإلهى امنح الجمال لطائفة النسوة اللائى يشربن منه ، واجعلهن محبوبات ، واشمل برحمتك كل الخلايق العجزة ، وأمنح مَنْ يشرب منه من أبنائي تاج النبوة ، واشملنا برحمتك وامنح به الشفاء من كل داء » .

حقاً .. إن ماء زمزم مفيد جداً لطائفة النسوة ، ويجعلهن محبوبات جداً ، وجملة من يشربن منه يتصفن بحسن الخَلْق ، والخُلُق . وهن مشهورات بذلك فى العالم ، ومَنْ يشرب منه ؛ فكأنه تناول من مختلف الأطعمة ، فماء زمزم يدفع الجوع ، كما يذهب العطش ، يقوى الجسد ولقد آحاطت أُمنا هاجر جوانبه الأربعة بالتراب ، فصار كالخليج .

ويقول بعض المؤرخين ، أنه عندما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا ابراهيم ببناء البيت العتيق .. فكر الخليل أن التراب يلزمه الماء . ولهذا آجرى الله سبحانه وتعالى ماء زمزم بالكيفية السابقة حتى يتمكن الخليل ابراهيم من خلط التراب بالماء ، ويتمكن من البناء . ومن هنا كانت المعانى المتعددة للآية الكريمة ﴿ ..وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (*) . ولتحقيق هذا فى هذه البقعة المقدسة ، آجرى الله سبحانه ماء زمزم... ويقولون ، والعهدة على الراوي ؛ أن الرسول الكريم قال ﷺ .. رحم الله أم اسماعيل لو تركت ماء زمزم لكانت جارية .. وعلى الجانب الأيمن من ماء زمزم ، وبجانب الجدار الخارجي ، يوجد سلم متصل بالبيت الشريف.. وتصل منه إلى مقدمة البيت الشريف .. وجميع الحجاج ، يصعدون منه ، ويدخلون البيت الشريف. وعلى الجانب الأيمن من هذا السلم يوجد باب السلام العتيق .

* * *

(*) سورة الأنبياء : الاية ٣٠ .

بـاب الســلام العتيـق:

إن باب السلام هو الباب القائم فى الحرم الشريف ، ولم تحدث فيه أية توسعات ، وتدور حوله فى الحرم الآعـمـدة النحاسية التى سبق الحديث عنها . وللآن فإن باب السلام هو قوس عالٍ ، وكأنه كمر إيوان . وهو كقصر بجوار بئر مياه زمزم . وعلى جانب آخر منبر رسول الله ، أما الجانب الأيمن من باب السلام فهو غير متصل بأي مكان . هو عبارة عن كتله من الرخام الأبيض الخام وسط الحرم الشريف ، هو منبر متقن الصنع بحيث لا يوجد له مثيل فى الممالك الإسلامية ، هو منبر متقن الصنع بحيث لا يوجد له مثيل فى الممالك الإسلامية ؛ ويعجز اللسان عن وصفه . وقبة المنبر قطعة فنية من يراها لا يملك نفسه من ترديد عبارة سبحان الله . حقا إنه منبر لا مثيل ولا نظير له ، وفى كل يوم جمعه يزينون حول مقام الخطيب بالرايات ، والبيارق ، والآعـلام الخـضـراء . . وبعـد أن ينادى على الصـلاة ، وتطلق الصلوات على النبى « ﷺ » مرتين من المنارات السبع ، فإن خدَّام الحرم الشريف جميعاً ، يلتفون حول الخطيب مصاحبين له منذ أن يخرج من قبة قدم النبى وهم يطلقون التوحيد الإلهى . . ويسير الخطيب بكامل الوقار ، والأبهة ، وقد تدثر بالرداء المحمدى ، وفى يده سيف لامع ، يتقدم على مهل ، وأمامه العلم النبوى الشريف . . وحملة العلم يسيرون وهم يوحدون ، ويصلون على النبى ، ويدعون للخلفاء الراشدين ، ويفردون سجادة الإمام أمام المنبر ، فيتلى الآذان المحمدي وينطلق جميع المؤذنين فى نفس واحد ، من مقصورة ماء زمزم مرددين (اللهم صلى على محـمـد ، وعلى آل محـمـد ، وسلم) . وهم يطلقون تصلية بلال الحبشى ، وأولاده رضي الله عنهم أجمعين . وبعدها ، يصعد الخطيب وفى يده السيف القاطع إلى المنبر . ويقدم خطبته . وبعد أن يتمها ؛ أولاً ؛ يحمد البارى ويشكره على نعمه ، وثانياً ؛ يُصلى على المصطفى صاحب الرسالة ، وثالثاً ؛ الدعاء للخلفاء الراشدين الأربعة ، ورابعاً ؛ يدعو لآل عثمان ، وخادم الحرمين الشريفين مولانا ملك العرب والعجم السلطان ابن السلطان الغازى محمد خان الرابع ، فاتح بلاد الأيوار وفاتح كچ كيوار ، وفاتح جزيرة إكريت ، وفاتح بلاد الأردل ، وفاتح پانووا وفاتح وارات ، ويصل حتى سليم الأول فاتح مصر وموقف خيراتها على الحرمين الشريفيين ، وبلاد الحجاز . . وهكذا ، يتدرج فى ذكر سلاطين آل عثمان فيعرف بكل سلطان ومآثره ، بحيث أن المستمع يعرف من هم سلاطين آل عثمان ، ويركز على شوكة ،

وسطوة آل عثمان الذين يسروا الحج ، وسيروا المحمل ، ومكنوا سبعين ألف حاج من التجمع ، والوقوف فى عرفات وبحيث يحيط المستمع بقوة ونفوذ آل عثمان ، وخدماتهم لدين الإسلام . ثم ينزل الخطيب من على المنبر ، ويؤدى ركعتى صلاة الجمعة ويتم التوحيد ، والتسبيح الأكبر بجوار المنبر . وبعد ذلك يشرع بعض الحجاج فى الطواف . ولا تؤدى صلاة الجمعة فى أي مكان فى مدينة مكة المكرمة إلا في الحرم المكي الشريف ، ويتوافد عباد الله عليه مبكرين بحيث يمتلئ الحرم بأفواج ، وأمواج المصلين . وآمواج آخرى تلتف وبحيث يصير الحرم وسطهم .. ولما كانت لا تجوز الصلاة وجهاً لوجه ، إلا أنهم فى هذا الحرم الشريف ، وبعد أن يلتفون حوله فيصبحون فى حلقات تواجه بعضها البعض . وهدفهم ، ومرادهم جميعاً هو السجود فى الحرم .. إنه منظر رائع ، وعجيب ، ومكان عبادة يُؤثر النفوس المؤمنة . ويبعد هذا المنبر عن البيت الشريف = الكعبة بعشرين خطوة ... وفيما بين المنبر وماء زمزم وإلي الأمام :

* * *

مقام حضرة ابراهيم:

يعنى البيت الذى كان يُقيم فيه سيدنا ابراهيم قبل أن يبنى الكعبة الشريفة . ولقد كان الخليل ابراهيم يسكن فيما بين قبيلة بنى جرهم . وقد سكن هذا المكان ومن هنا يسمونه مقام ابراهيم . مقصورة أو قصر مربع . تُحيطه شبكة نحاسية ، والمقام مغطى بالرصاص .. وعلى الجانب الشرقى يطل باب لطيف يسمح بالسير ، وأمام هذا الباب يوجد دلهيز = دهليز ، مقام فوق عمود لطيف ، وقبته عبارة عن لوحة فنية ، نقوش السقف فيها بوكالمون ، زخارفها من الذهب . أعمالها الفنية بديعة الصنع ، ونموذج رائع للفن الإسلامي بوباتها .. أي ألوانها زرقاء ، وحمراء ، على مينا مختلفة .. وكان كبار الفنانين ؛ ولى جان . وبهزاد ، وآغارضا قد تركوا أقلامهم ، وفرغوا منها فوراً . ولقد أمر السلطان ابراهيم خان بتجديد وترميم مقام الخليل ابراهيم هذا ، وجعله منبعاً للسحر والإبداع . وعليه تاريخ ولكن لم أتمكن من تحريره ؛ ولم يتيسر الوقت بعد ذلك ، لذلك ، وداخل مقام ابراهيم هذا صندوق مربع مغلف بالذهب .. ومنقوش عليه نقوش بديعة ، مَنْ يراها يظنها نقوش صينية . وهذا

أيضاً قد أُحضر من قصر يوسف فى مصر ، وقد أحضره أمير الحاج وصندوق مقام ابراهيم تغطيه ستائر وهو من خيرات السلطان أحمد خان .. مذهب بسبع أوقيات من الذهب ، وكذا بسبع اوقيات من الفضة الخالصة ، وقنطارين من الحرير الطبيعي ، وقد نُسجت جميعها طبقة فوق طبقة .. وطُرِّزت بنقوش غاية فى الإبداع ، والتزيين . وعلى جانب منها ؛ نقرأ :

(لا إله إلا الله ابراهيم خليل الله) . وداخل كتابة اخرى ، نقرأ الآية : (.. **مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**) (١) .

هذه الكتابات كلها بالخط المذهب ، وكلها مسطورة فوق حرير اسود وقد نقشت بالصيرمة . وداخل صندوق يوجد آثار القدمين الشريفين لسيدنا ابراهيم . وعليهما ماء الورد ، أو تفوح منهما رائحة ماء الورد موجة إثر موجة .. وجملة الزوَّار يدخلون هذه القبة ، ويمرغون وجوههم بماء الورد هذا .. ويتلون دعواتهم فى همس ، وخفوت..

إن كل هذه الأبنية المذكورة تقع داخل الحرم الكبير وعلى الجوانب الأربعة للبيت الشريف . وأمام باب بئر ماء زمزم ، وفي الناحية الشرقية ، وعلى بعد ثمان خطوات فقط ، يوجد مقام .. قدم النبي ..

* * *

مقام قدم النبى:

قبة عالية ، بيضاء ، مقَامةَ فوق جدار مربع الزوايا . ليست مغطاة بالرصاص ، بل مدهونة بالجير الأبيض .. داخل هذه القبة محراب مختصر . على يساره ، وداخل دولاب مربع الشكل ، يوجد صندوق ، داخله أثر القدم للنبي المصطفى ، وقد وضع فوق حجر أسود ومن تجاويف القدمين الشريفين يَنبثق ماد الورد بروائحه الزكية . وجملة الحجيج يمرغون وجوههم ، فتشع وجوههم بالنور . وداخل هذه القبة هبات من المئات من آصحاب الخيرات عبارة عن فوانيس ، وقناديل مذهبة ، ومطلية .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .

وشماعد ، ومباخر ، ومزاهر لماء الورد .. وبحيث صارت أكواماً .. أكواماً .. كما توجد شمعدانات مزدانة بالجواهر ، وقناديل وثريات من الفضة الخالصة . والله وحده هو الذى يعرف حسابها . كما يوجد العديد من الفوانيس التى جاء كل منها من بلد ما كهدية ، وكلها فوانيس رائعة فخيمة .. يقوم خدَّام الحرم كل ليله بإشعالها بالشمع الكافوري ، فيزدان الحرم بنورها ، وتزدان هى بوجودها داخل الحرم . وقبة قدم النبى هذه لها باب مكشوف أى مطل على الشمال داخل الحرم . وعلى بعد عشر خطوات ، وعلى شمال هذه القبة توجد قبة آخرى .

هى قبة منخفضة ، مبيضة أى مدهونة بالجير ، تُستخدم كمخزن للزيت ، ولهذا فهى دائماً مغلقة ، ومهما كان عدد القناديل . والأسرجه داخل الحرم الشريف ، وداخل مدينة مكة كلها ، فجميعها تُسرج ، أى تأخذ زينتها من هذه القبة ، وتُنير المسجد الحرام . وعلى الجوانب الأربعة لهذه القبة توجد الآلاف من أكواب الماء من أجل ماء زمزم . والعديد من الدوارق ، ويسمونها ذورق الصفا . تُملئ بماء زمزم ، وتوضع فى مهب الريح ، وما أن يلمسها ، ويداعبها الهواء حتى تتحول إلي قطع من الثلج ، وآلاف الدوارق عبارة عن أكواب ذات فوهات ، وكل واحدة منها من عطايا أصحاب الخيرات . وقد حررت بالخط الأحمر فوقها أسماء الواهب لها وما أن تُكسر إحداها حتى توضع الاخرى فوراً وأصحاب هذه الخيرات يبعثون بها ، أو يحضرونها مع الصرة والعطايا التى تُقدم للحرمين الشريفين من شتى بقاع العالم الإسلامي .. ويقوم الواقف ، أو الواهب بملئ هذه الأكواب ، والدوارق وتقديمها لحجاج الله المسلمين.. إنها ضمن الخيرات ، والصدقات الكثيرة المستترة . وليكن معلوماً لإخوان الصفاء ، أنه ليس هناك داخل الحرم ، عدا المبانى والمقصورات التى سبق ذكرها ، سوى هذه الآكواب والدوارق. ولكن على جوانب الحرم الشريف الأربعة الكثير من المدارس، فهى بالمئات . وجميع نوافذها تفتح ، وتطل على الحرم الشريف، والكعبة المشرفة . وكل شخص يقتدي بأئمة المذاهب الأربعة ، وهم فى دورهم . والدور ، والمنازل ، والمدارس طوابق ، وأدوار تعلو بعضها بعضاً . ولكن من باب داوود حتى الوصول إلي باب السلام وبمحاذاة جدار الحرم طريق عام رئيسي . ومن باب الصفا ، وضواحيه ، وما بين الصفا ، والمروة يقع السوق السلطانى = الرئيسي . وفى هذا الطرف لا توجد أي مدارس عدا مدارس ، وخانات ، ودور أمير الحج المصري .